استدعاء الشخصيات التراثية في شعر يحيى السماوي

(موتيف الإمام الحسين نموذجاً)

الدكتور رسول بلاوي*

الدكتورة مرضية آباد*

الدكتور علي خضري*

الملخص:

لقد أدرك الشعراء المعاصرون أن التراث مصدر غني ومهم يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا باستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية توظيفها في بنية النصّ، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات يعدّ من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي؛ لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية، تفرض على القارئ نوعاً من التماهي معها، بما تمثله في وعيه ولاوعيه الفردي والجماعي من حضور وتأثير قويين أحياناً يلحّ الشاعر على استدعاء شخصية ما ويكرّرها بكثافة حتى تصبح موتيفاً في منجزه الشعري، وهذا ما نحرص على معالجته في هذه الدراسة. يعدّ الموتيف في الشعر من الظواهر التي تستخدم لفهم النص الأدبي؛ ولا يقوم فقط على مجرد التكرار في السياق الشعري، وإنما ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس المتلقي. وقد حاول الشاعر

---

* (جامعة فردوسي مشهد).

* (أستاذة مشاركة في جامعة فردوسي مشهد).

* (أستاذ مساعد في جامعة بوشهر).

العراقي يحيى السماوي أن يجعل من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، وتكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه، ومن أهم موتيفاته التي تحمل دلالات وثيقة الصلة بحياته ونفسيته "استدعاء شخصية الإمام الحسين"، فقد ورد هذا الموتيف في شعره بكثافة وقد انزاح عن معناه الحقيقي ليحمل دلالات ورؤى جديدة؛ فالإمام الحسين رمزٌ خالدٌ للتضحية والفداء من أجل المبدأ/ الدين، وهو رمز الباحث عن العدالة ونُصرة المستضعفين في وجه الجبروت.

هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي – التحليلي–، ترصد استدعاء شخصية الإمام الحسين ودلالاتها في تجربة الشاعر؛ وتعالج الأسئلة الآتية: ما الموتيف ودلالاته النقدية في الشعر؟ كيف يستدعي السماوي شخصية الإمام الحسين باعتبارها موتيفاً يتكرّر في شعره؟ وما هو أثر هذا الموتيف على مخيلة المتلقي؟ وما الدلالات التي يحملها هذا الموتيف في شعر السماوي؟

المقدمة:

حياة الشاعر:

هو يحيى عباس عبود السماوي، وُلدِ بمدينة السماوة بالعراق في السادس عشر من مارس١٩٤٩م، يُعتبر من روّاد الشعر العربي الحديث، امتلك ناصية الشعر في وقتٍ مبكر. تخّرج في كلية الآداب جامعة المستنصرية عام ١٩٧٤م، ثمّ عمل بالتدريس والصحافة والإعلام، استهدف بالملاحقة والمضايقة في عهد النظام العراقي السابق حتى فرّ إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٩١م، واستقرّ بها في جدّه حتى سنة ١٩٩٧م يعمل بالتدريس والصحافة، ثم انتقل مهاجراً إلى أستراليا؛ وبها يقيم حتى كتابة هذه السطور (بدوى، ٢٠١٠ م : ١١) أو كما

يعرّف نفسه بلغته الشعرية: «اسمي الثلاثي: يحيى عباس عبود ... انتقلت من رحم أمي إلى صدرها بتاريخ ١٩٤٩/٣/١٦م، في بيت طيني من بيوت مدينة السماوة. أحمل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، وظيفتي الحالية، فلاح في بستان الأماني، أو صيّاد غير ماهر، أنصب شباكي وفخاخي في حقول الحلم، أملاً في اصطياد هُدهُد فرحٍ على غصن اليقظة في زمنٍ ذَبَحَ الحزن فيه عصافير الأحلام» (المصدر نفسه: ص ١١ و١٢).

اشترك مقاتلاً في أحداث جنوب العراق عام ١٩٩١م، ثم لجأ إثر ذلك إلى المملكة العربية السعودية، حيث أقام في ضيافة المملكة نحو ستّ سنوات عمل خلالها رئيساً للقسم السياسي والثقافي في إذاعة «صوت الشعب العراقي» المعارضة للنظام العراقي، التي كانت تُبثّ من مدينة جدة، وفي هذه السنوات الستّ أعدّ عشرات البرامج السياسية، ونشر أكثر من ثلاثمئة مقال سياسي في الصحافة العربية حول ممارسات النظام السابق إضافة إلى ما نشره من دواوين شعرية (القرنى، ٢٠٠٨م: ص ٢٩ و٣٠).

حاز السماوي العديد من الجوائز، من بينها: الجائزة الأولى لمهرجان الجامعة المستنصرية للشعر عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣م، جائزة أبها الثقافية الأولى عن ديوانه: «قلبي على وطني» عام ١٩٩٢م، جائزة ابن تركي للإبداع الشعري برعاية جامعة الدول العربية عام ١٩٩٨م، عن ديوانه: «هذه خيمتي فأين الوطن» (المصدر نفسه: ٣٠).

نُشرت قصائده في معظم المنافذ الأدبية العربية، وتُرجم العديد منها إلى اللغة الإنجليزية، وأخيراً إلى اللغة الفارسية، ومن بين من ترجموا له: الشاعرة الأسترالية "آن فيربيرن" والدكتورة "رغيد النحاس"، والأستاذ في جامعة بنفسلفانيا "صالح طعمه" وآخرون.

أصبح يحيى السماوي شاعر القضية العراقية وشاعر الإنسانية ونصير الشعب المضطهد، فنذر حياته مشرداً في أصقاع المعمورة إلى أن استقرّ به المقام واضعاً عصاه في أستراليا.

فرغم إقامته في هذه الديار النائية إلاّ أنه عراقيّ من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، يعيش دائماً وسط الحدث وله تحاليل سياسية عبر شبكة المعلومات العالمية، فهو ليس شاعراً فحسب، بل إنه محللٌ سياسيٌ وكاتبٌ وناقدٌ وقاصٌّ بارعٌ.

الموتيف:

لقد حظي البحث عن الموتيف باهتمام واسع في النقد الأدبي الأوروبي باعتباره عنصراً فاعلاً في النقد وتحليل النصوص الأدبية. أصل كلمة "الموتيف" فرنسية، تعني في اللغة الحركة، والإثارة، والإلحاح والدافع.

تستخدم مفردة "الموتيف" في فنون وعلوم مختلفة، منها: الرسم، والنحت، والهندسة المعمارية، والموسيقى، والحياكة، والخياطة، والتصوير والأدب. فعلى سبيل المثال، الموتيف في فن التصوير يعني العنصر المكرّر الذي يلعب دوراً أساسياً في الفلم لفهمه. فالتكرار هنا قد يكون حواراً، نبرات موسيقية، سلوك الشخصيات، نوراً، وصوتاً، ومكان آلة التصوير،.... (إسلامي، ١٣٨٦هـ ش: ٧٥).

والموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز والباعث (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٨). ولا يخفى أن التكرار هو السمة الغالبة على الموتيف في الأعمال الفنية والأدبية.

تُعرّف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية .. إلخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي (الشامي، ٢٠٠٧م: ٢٩).

الموتيف قد يكون كلمة (فعلاً أو اسماً أو حتى أداة)، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبيراً يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر محدد، أو شعراء مرحلة، أو يصبح "لازمة" تتكرر في مرحلة تاريخية معينة. ومن أمثلة ذلك في الأدب العربي فكرة (الهامة) روح القتيل التي تصيح طالبةً الثأر، والوقوف على الأطلال، وعيون المها، أو"الأنا" عند المتنبي، و"حدثني عيسى بن هشام" في مقامات الهمذاني، و"أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح" في ألف ليلة وليلة، وكذلك "التاريخ في الشعر" في العهد المملوكي، و"المرأة" في شعر نزار قباني، أو "الحارة المصرية" في روايات نجيب محفوظ، أو"صورة اللجوء والشتات الفلسطيني" ، أو "الحنين للفردوس المفقود" أو "الأندلس الجديدة" في الشعر الفلسطيني بعد النكبة، و"صورة الحجر" في شعر الانتفاضة الفلسطينية (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٧).

أهمية الموتيف:

لا يخفى أنّ تكرار فكرة/ صورة/ رمزٍ ما حتى يصبح موتيفاً، يعني أهمية تلك الفكرة/ الصورة/ الرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وترغي في رأسه حتى تملأ عليه نفسه، بمعنى أن للموتيف دلالة نفسية، تشير إلى انهماك الشاعر في بُعد معين أو استغراقه في فكرة ما، ثم «تبدأ له من تراث إنساني وروحي، وكأنك تحسّ بها قد أغلقت دونه كل طريق، فحيثما اتجه يمثلها هناك، فإذا هو أغلق نفسه دون الأشياء، اصطدم بها كذلك في أعماق نفسه» (إسماعيل، ١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يروح يقولبها ويمدّها بشرايين جديدة، تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها.

الموتيف يساعدنا في تفهم أسلوب الشاعر، مثلما يشير إلى القضايا/ الأفكار التي كانت تتفاعل في ذهنه. وإذا وجد عند شاعر من الشعراء إنما يوضح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني وبين الواقع النفسي

للشاعر ولتوجهاته وآرائه. كما أن الشاعر يستخدم الموتيف ليضخّ من خلاله ما يتراكم في داخله وما يعتمل في صدره، وليفرّغ الشحنات التي تتصادم وتقدح بين أضلاعه عملية تنفيس وتخليص.

الموتيف لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، إنما يقوم على ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلّا من خلال دراسة الموتيف داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل موتيف يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، ولولا ذلك لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، فالموتيف إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات والبناء الشعري.

دلالات الموتيف:

الموتيف يعدّ من أهم المكونات لدراسة الأفكار والأغراض في النقد الأدبي وتحليل النصوص، ويمكن لنا أن نحدّد مفهومه كما يلي:

اولاً: كل عنصر مكرّر حسّاس في النص. وهذا العنصر المكرّر قد يكون شيئاً، حدثاً، صوتاً، صورةً، لوناً، مكاناً، زماناً، فضاءً، مشهداً، وحالةً نفسيةً (كالحزن، والفرح، والجنون، والخوف، ...).

فالعامل الذي يجعل هذه العناصر موتيفاً هو التكرار. فمثلاً اللون بذاته لا يعتبر موتيفاً ولكن عندما يتكرّر يلفت انتباه المتلقّي فيبقى يبحث عن سر هذا التكرار محاولاً الكشف عمّا وراء النص.

ثانياً: الأفكار، والأغراض والموضوعات المكرّرة في أعمال شخصٍ ما أو جيل أو فترة زمنية محددة.

هـذان المفهومـان (أي العنصـر والموضـوع) يشـتركان فـي قضـية التكـرار ويختلفان في بُعدي اللفظ والمعنى. فالموتيف في المفهوم الأول يهتمّ باللفظ – ولو أنه يكون في خدمة المعنى والموضوع – وفي المفهوم الثاني هو تكرار الفكرة/ المعنى/ الموضوع.

وقد تكون للموتيف وظيفة رمزية، فالمفردات/ الموتيفات عندما تتكرّر في أعمال الشاعر تحمل دلالات وايحاءات رمزية. بعبارةٍ أخرى تكرار العنصر الفاعل في النص لكي يصبح موتيفاً يضفي عليه إيحاءات ودلالات جديدة تؤهّله ليكون رمزاً كموتيف/ رمزية شخصية الإمام الحسين في الشعر المعاصر.

خلفية البحث:

إنّ أوّل دراسات معمّقة وخصبة حول الموتيف في الأعمال الأدبية ظهرت في الأوساط الثقافية الغربية. وأوّل دراسة في هذا الصدد، هي الدراسة التي أعدّها "استيت تامسون" أواخر الستينات من القرن العشرين تحت عنوان "معجم موضوعات الأدب العالمي"، والدراسة الثانية في هذا المجال هي دراسة "اليزابت فرنزيل" الألمانية، التي أثرت المكتبة العالمية بكتابين هما: «مضامين الأدب العالمي» و«موتيف الأدب العالمي»، وقد اهتدي بهما الكثير من الباحثين (تقوي، ١٣٨٨هـ ش: ٨ و٩).

لكننا في الأدبين العربي والفارسي لم نعثر على دراسات حول الموتيف قبل عقدين من الزمن، فقد دخل هذا المصطلح مؤخراً ومن خلال النقد الأدبي الغربي وعلى الرغم من ذلك لم يحظَ بدراسات معمّقة في هذين الأدبين بل أشار له بعض النقاد والباحثين في طيّات دراساتهم النقدية معرضين عن أصوله وجذوره. ولعلّ دراسة "محمد تقوي" عن الموتيف الموسومة بـ "ما هو الموتيف وكيف يتشكّل"، التي تمّ نشرها بمجلة "نقد أدبي" في جامعة "تربيت مدرس" هي الفريدة من نوعها في هذا المجال.

أما الدراسات التي نالت قصب السبق في تجربة السماوي نخصّ منها بالذكر كتاب حسين سرمك حسن، الموسوم بـ "إشكالية الحداثة في الشعر السياسي/ يحيى السماوي أنموذجاً"، وكتاب محمد جاهين بدوي الموسوم بـ"العشق والاغتراب في شعر يحيى السماوي"، وكتاب فاطمة القرني الموسوم بـ"الشعر العراقي في المنفى/ السماوي نموذجاً"، وكتابي عصام شرتح الموسومين بـ"آفاق الشعرية/ دراسة في شعر يحيى السماوي" و"موحيات الخطاب الشعري/ دراسة في شعر يحيى السماوي".

والدراسات التي تناولت تجربة السماوي الشعرية في إيران، قليلة جداً منها: رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في جامعة إعداد المعلمين بمحافظة آذربيجان وعنوانها: «مفاهيم المقاومة في شعر يحيى السماوي» باللغة الفارسية للطالبة "ليلا جباري كيلانده" بإشراف "عبدالأحد غيبي". ورسالة أخرى على مستوى الماجستير في جامعة رازي بمحافظة كرمانشاه وعنوانها: «الأسلوبية في شعر يحيى السماوي» للطالب "بهنام باقري" بإشراف "يحيى معروف". وكل هذه الدراسات والبحوث المقدّمة لم يتطرّق أصحابها إلى موضوع الموتيف في شعر السماوي؛ ورسالة الدكتور رسول بلاوي في مرحلة الدكتوراه الموسومة بـ"توظيف الموتيف في شعر يحيى السماوي" في جامعة "الفردوسي" هي الدراسة الوحيدة التي تمّت فيها معالجة موضوع الموتيف في شعر السماوي.

تطرّقنا في هذه الدراسة إلى موتيف "استدعاء شخصية الإمام الحسين" في شعر الشاعر العراقي يحيى السماوي أنموذجاً للشخصيات التراثية التي ترد كثيراً في منجزه الشعري. والمنهج الأسلوبي الذي اتخذناه طريقاً لهذه الدراسة، لا يقف عند عملية رصد الموتيفات وإحصائها في النص، إنما يتجاوز ذلك إلى النقد والتحليل والتوضيح للمعاني التي ينطوي عليها العمل الإبداعي، والعلاقات اللغوية

التي تكشف عن خصوصية الرؤية من ناحية، وعن القدرة الفنية التي يتمتع بها المبدع من ناحية أخرى.

يعبّرُ التراث عن الأمة وهويتها، بل هو خيرُ معبّر عنها، لأنه جزء منها، وهكذا كل تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته، فلا يمكن أن تؤسّس أيّة أمة نهضتها على تراث آخر غير تراثها؛ لأنّ التراث يختزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة، وهو زادها التاريخي، ولا تتحقق المنعطفات الكبرى والنهضات في حياة الأمم دون زادها التاريخي.

وللتراث وظيفة أساسية في تجلية الهويّة الحضاريّة للأمة، وتأكيد ذاتها وحماية هذه الذات من الذوبان والانكسار، باعتبار أن التراث يتّسع لمجموعة الرؤى والأفكار والخبرات والإبداعات مما أنتجته الأمة في طول تجاربها الحياتية الشاقّة في حالات الانتصار والهزيمة، وفي حالات الازدهار والركود، وفي حالات الزمن المتحرك المحيط بجميع فعاليات الأمة ومكتسباتها (فائزي، ٢٠١١م، موقع المثقف).

وكان التراث مصدراً سخيّاً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية؛ والأدب العربي المعاصر حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية تراثية. فلهذا يعدّ التراث في الأدب العربي المعاصر، مصدراً أساسيّاً من المصادر الثقافية والقيم الإنسانية التي عكف عليها الشعراء المعاصرون، واستمدوا منها شخصيات تراثية عبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة.

استدعاء التراث في الشعر المعاصر:

لقد أدرك الشعراء المعاصرون أنّ التراث مصدر غني ومهم يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا باستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية

توظيفها في بنية النصّ، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات يعدّ من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي، لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية، تفرض على القارئ نوعاً من التماهي معها، بما تمثله في وعيه ولاوعيه الفردي والجماعي من حضور وتأثير قويين.

وتوظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، يعني: «استخدامها تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر يعبر من خلالها . أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة» (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٣).

لقد شاعت الشخصيات التراثية/ الرموز التاريخية في القصيدة العربية الحديثة، إذ عكف الشعراء على موروثهم، يستمدون من مصادره المختلفة – من موروث ديني، وموروث صوفي، ومن موروث تاريخي، وموروث أدبي، وموروث أسطوري وفولكلوري– عناصر ومعطيات مختلفة، من أحداث وشخصيات وإشارات، يبنون منها رموزهم.

فقد وجد الشاعر المعاصر رهن تصرفه تراثاً شديد الغنى متنوع المصادر، فأقبل على هذا التراث بنهم، يمتاح من ينابيعه السخية أدوات يثري بها تجربته الشعرية ويمنحها شمولاً وكلية وأصالة، وفي الوقت نفسه يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية وأكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة وترجمتها ونقلها إلى المتلقي (السابق: ٧٣).

أسباب استدعاء الشخصيات:

ومن أسباب اتجاه الشعراء العرب المعاصرين إلى الشخصيات التراثية في شعرهم هي الظروف السياسية والاجتماعية الخانقة التي مرّت بها الأمة العربية؛

ففي العصر الحديث مرّت الأمة العربية بظروف من القهر السياسي والاجتماعي، وأدت فيه كل الحريات، وفرض على أصحاب الرأي ستار من الصمت الثقيل كانت أية محاولة لتجاوزه تكلف صاحبها حياته (السابق: ٣٢ و٣٣). فلهذا استخدم الشعراء العرب المعاصرون الشخصيات التراثية في شعرهم ليستطيعوا أن يتستروا وراءها من بطش السلطة إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فني. ففي الواقع إنّ الظروف القاسية التي اجتاحت البلاد العربية هي التي دعت الشاعر أن يلجأ إلى استخدام الرموز بما فيها الشخصيات التراثية ليتكلّم من خلالها ويعكس معاناته ورؤاه بحرية أكثر.

ومن الأسباب الأخرى التي اتجه الشعراء العرب المعاصرون إلى استخدام التراث والشخصيات التراثية، هو أن يتمكّنوا من تصوير خلجات حاجاتهم النفسية وآلامهم وهمومهم من خلال هذه الشخصيات التراثية. فالشعراء المعاصرون يرجعون إلى التراث ويعاودون الرجوع على أمل أن يستطيعوا بهذه الوسائل أن يعبّروا عن أصدق تمثيل لهمومهم الخاصة، وربّما أكثر تهدئة لها. وبهذا فإن الشاعر في العصر الحديث يدوّن المعطيات التراثية ويعبّر عنها، وأصبح يرى أنّ دوره هو أن يختار من هذه المعطيات ما يوافق تجربته، بحيث يمنح تجربته نوعاً من الأصالة والشمول عن طريق ربطها بالتجربة الإنسانية في معناها الشامل، ومن ناحية أخرى يثري هذه المعطيات بما يضيفه عليها من دلالات جديدة ويكسبها حياة جديدة. فليس غريباً إذن أن نجد الشاعر العربي المعاصر يفسح المجال في قصائده للمعطيات التراثية التي تتجاوب معه، والتي مرّت ذات يوم بالتجربة نفسها وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه (إسماعيل، ١٩٧٢م: ٣٠٧).

أهمية الاستدعاء ووظيفته:

لقد أدرك الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير؛ وذلك لأن المعطيات

التراثيـة تكتسـب لونـاً خاصـاً مـن القداسـة فـي نفـوس الأمـة ونوعـاً مـن اللصـوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة، والشاعر حين يريد الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسّل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، وكل معطى من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات والدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائياً (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٦)، فليس غريباً إذن «أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه، والتي مرت ذات يوم بالتجربة نفسها وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه» (إسماعيل، ١٩٦٧م: ٣٠٧).

ولا بدّ أن نشير إلى أن توظيف أسماء الأعلام التاريخية/ التراثية تتمتَّع بحساسية خاصة؛ لأنَّ هذه الأسماء بطبيعتها «تحمل تداعيات معقّدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان» (مفتاح، ١٩٨٦م: ٦٥)؛ لهذا فإنّ إدراك القارئ، لدلالة مثل هذه النصوص، التي تقوم بتوظيف أسماء الأعلام التراثية يتوقف على معرفة القارئ بهذه الشخصيات وإمكانية تعيينه لها من خلال السياق.

والأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالاتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ وأشكال أخرى؛ فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في معركة معينة تظل – بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك أو تلك المعركة – باقية، وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢٠)، إذ «إن التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من

وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي» (ناصف، ١٩٨١م: ٢٠٥).

وهذه الدلالة الكلية للشخصية التاريخية، بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة هي التي يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته، ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول، وليضفي عليها ذلك البعد التاريخي الحضاري، الذي يمنحها لوناً من جلال العراقة.

وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها الأمة العربية في الحقبة الأخيرة، وإحباط الكثير من أحلامها، وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير، وسيطرة بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها، والهزائم المتكررة التي حاقت بها رغم عدالة قضيتها. انعكس كل ذلك على نوعية الشخصيات التاريخية التي استمدها الشاعر المعاصر (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢٠).

ومن الطبيعي أنّ الشاعر لا يتعامل مع التاريخ مثلما يتعامل المؤرخ الذي تهمُّه الحقائق التاريخية، فيمحّصها بحثاً عن تأكيدٍ لها نفياً أو إثباتاً. أمّا الشاعر فـ«يضفي عليها من ذاته وواقعه، وطبيعة الحالة النفسيّة التي دفعته إلى الاستعانة بجزء من التاريخ. وهو يتعامل معها على وفق قناعته بما تكتنفه هذه المادة التاريخية من قيمة معنوية ودلالة إيحائية يريد إيصالها إلى ذهن المتلقي وشعوره» (حداد، ١٩٨٦م: ٨٠).

مصادر الاستدعاء:

إن الدارس للشعر العربي الحديث يلحظ أن مصادر التراث التي استرفدها الشاعر المعاصر قد تنوعت وتعددت ما بين: مصادر دينية، ومصادر تاريخية،

ومصادر أدبية، ومصادر شعبية، وقد كان لهذه المصادر أثر كبير في تعميق تجربته الشعورية، وإرهاف أدواته التعبيرية، ولعل استرفاده الموروث الأدبي بخاصة، واستخدامه له يكون قد برز واضحاً في صور تعامله مع التراث، حيث تتجلّى طبيعة ارتباط الشاعر بالماضي، ومدى تفاعله معه، وقدرته على توظيفه وتطويره، والإضافة إليه.

فقد تأثّرَ الشعراء في العصر الحديث بالشخصيات التاريخية بصفة عامة، والشخصيات الأدبية بصفة خاصة، إذ إن استدعاء الشخصيات في النصوص الحديثة، بمثابة الارتداد الفني بالرجوع إلى الماضي لشحن نصوصهم بدلالات شتّى ما كانت لتتأتى لولا هذه التقنية الفنية التي تحاول استنطاق الشخصية المستدعية ومحاورتها أحياناً لنقد الواقع أو السخرية من أحداثه ووقائعه المتناقضة أو الفاسدة؛ بمعنى أدق إن الشخصية الأدبية المستحضرة أشبه بالمرآة الخفية التي تعكس الوجهين معاً في آن، وجه الماضي بإشراقه ونضارته، ووجه الحاضر بتناقضاته وسلبياته.

ومن الملحوظ أيضاً أن الشخصيات التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعرائنا المعاصرين هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، وأصبحت في التراث رمزاً لتلك القضايا وعناوين عليها، سواء كانت تلك القضايا سياسية أو اجتماعية أو فكرية، أو حضارية، أو عاطفية، أو فنية. ولقد كان الشعراء يتأولون بعض جوانب حياة الشخصية التراثية، لتصلح عنواناً على القضية التي يريدون أن يحملوها عليها.

استدعاء الشخصيات في شعر السماوي:

والشاعر يحيى السماوي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين أحسنوا استدعاء الشخصية التراثية في شعرهم؛ وذلك يعود إلى اطلاعه العميق على التراث العربي

والإسلامي، وقد وجدناه يلحّ على استدعاء بعض الشخصيات دون غيرها للتعبير عن رؤيته الفنية حيث عدّت في هذه الدراسة موتيفات لا بدّ من دراستها.

يُعدّ توظيف الشخصيات والرموز التراثية سمة بارزة في شعر السماوي، وهي تشير إشارة جلية إلى عميق قراءته للتراث، وقدرته على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاء شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات.

تتخلل قصائد يحيى السماوي أسماء كثير من الشعراء الأقدمين والمعاصرين. فهو يلحّ على إعادتها كي يراها ماثلة بين عينيه نضاحة بمكتنزاته الوجدانية، وكأنّ حضورها هو الذي يقيه من الموت في المنفى، ويؤكد وجوده ويصل ذاكرته بذاكرة الوطن. إنه يستعيد بهذه الوجوه والأسماء عالمه الحبيب الذي كتب عليه الأشقياء أن يُحرم منه، أما أسماء الشعراء القدامى فقد نظمها على هذا النسق:

نُعاقِرُ قهوةً بالهيل آناً

ونسمُرُ تحت داليةٍ بآنِ

وحيناً نستريحُ إلى قصيدٍ

لقيس بن الملوّحِ وابن هاني

وللضلّيلِ قام إلى عبيطٍ

ليرشفَ من قوارير الغواني (هذه خيمتي .. فأين الوطن: ٨٢)

وذكر من المحدثين شعراء العراق والفنان العراقي "فؤاد سالم" وذلك في قصيدة "من يملك الوطن"، فيقرن أسماء الشعراء بأسماء رموز من الذين ثاروا على النظام العراقي السابق، وقضوا في سبيل ذلك رجالاً ونساءً:

يملكهُ الشاهدُ والشهيد

وموقظُ الثورة من سُباتها

يملكه الطريدْ

وشاهر السيف على "أبرهة الجديدْ"

و"مريم الناعمُ" ... "أم مصطفى"

و"حيدر الجضعان"

"نازك والسياب والجواهري ..

سعدي .. بلندٌ .. وفؤادٌ ..

كاظم الريسانْ"

يملكه كلَ الذين أعلنوا العصيانْ

على عدوّ الله والإنسانْ

فليُسْقِطوا هويّة الأوطانْ

عنّا ..

غداً نسُقِط عن رقابهم رؤوسَهم

فيسْتَعيد مقلتيه "شاكر الجوعان" (السابق: ١٢٢ و١٢٣)

وهؤلاء أكثرهم من في مدينة السماوة التي ينتمي إليها الشاعر، ويترنم بها في قصائده.

أبطال السماوي هم – أحياناً – رموزٌ وقادةٌ في التاريخ الإسلامي والعربي يستلهم منهم دروس التاريخ وعبره، وقوة العقيدة واستمراريتها وحيويتها عبر القرون؛

لقد تحولوا إلى مؤشرات يقاس بموجبهم كل حدث معاصر وسنلاحظ كيف يستلهم السماوي وقفة الإمام الحسين في كربلاء وقوة صموده وصلابته وصبره وتحوله إلى قيمة مطلقة للشهادة في سبيل المبادئ والحق، هذه القيمة التي ثبتت بالاستشهاد والدم.

ويتحول أبو ذر الغفاري الصحابي الثوري إلى قوة إمداد غيبي في المطلق يزرع الشجاعة والصمود في هذا الزمان، فيطلب منه الشاعر أن يقوم بالناس بعدما تغيّرت القيم والمبادئ.

فإن الصور التي يرسمها الشاعر لهؤلاء الأبطال تتلألأ فخراً ومهابةً وجمالاً وزهواً حيث يجعل كلاً منهم رمزاً وأمثولة تُحتذى بعد أن يجسّد بطولاتهم، ويضع الأجزاء الصغيرة للموقف تحت العين الفاحصة، فيعطي المفاهيم والمعاني مزيداً من التألق واللمعان والبهاء والشموخ بألفاظه المناسبة واشتقاقاته الرائعة وتشبيهاته الجميلة المذهلة واستعاراته الجديدة غير المكررة.

استدعاء يحيى السماوي لهذه الشخصيات أو تلك التي تناغمت في دلالتها مع الوجدان العربي هو دليل انتمائه لأمته، فالإمام الحسين وأبو ذر الغفاري يرمزان إلى البطل العراقي.

ومن اللافت للانتباه أن شخصيات الشاعر المستدعاة كانت شخصيات متمردة، لكنّها لم تشكل تمرداً جماعياً، ولذلك منيت بالهزيمة، فاختار السماوي لحظة انهزامها لكنها توافق واقعه.

يسعى السماوي إلى استخدام موتيف الشخصيات التراثية وسيلة للإعادة والإلحاح وتأكيد ما في ذهنه لإصلاح الواقع، ولهذا فهو لم يكن معنياً بتكرار اسم بعينه بقدر ما يبحث عن قيم ومبادئ تتمثل في الأشخاص.

شخصية الإمام الحسين:

نجد مجموعةً من الأسماء التي يذكرها يحيى السماوي لا تأتي لمجرّد الدلالة على شخصياتٍ موجودةٍ على أرض الواقع بقدر ما تدلُّ على قيمٍ وأفكارٍ ومعانٍ يريد الشاعر أن يشيرَ إليها، منها شخصية الإمام الحسين بن علي. إنّ السماوي يستحضر مأساة كربلاء ليأخذ منها نموذج التضحية والفداء قبل البكاء والأسى على ما جرى لأهل البيت فالإمام الحسين رمزٌ خالدٌ للتضحية والفداء من أجل المبدأ/ الدين، ورمز الباحث عن العدالة ونُصرة المستضعفين في وجه الجبروت.

والرمز ينطوي على معانٍ ودلالاتٍ عظيمةٍ في حياة الفرد. ويكون أشد تأثيراً عندما يقترب ذلك الرمز من التقديس والهيبة. فيفرض على الفرد أن يحتفي به ليعبر تعبيراً حقيقياً عن تلك المعاني. خصوصاً إذا كانت قيمة الرمز تتسامى على الوجود المادي للمرمز له. فالإمام الحسين في موقفه البطولي فرض على الملأ وجوداً بقيمٍ عالية جداً حتى صار رمزاً لكل القيم في الشهادة في سبيل المبدأ الذي آمن به. لقد جاء الحسين "بفكرة"، هي فكرة التصدي لسلطة طاغية متجبرة في الأرض، ولعظمة تلك الفكرة استحقت أن تكون "فكرة سامية" و"معنى مقدّساً".

فالاحتفاء بقضية عاشوراء رمزاً روحياً ليس مجرد استذكار أمجادها أو ذكر فضائلها ومآثرها، ولا البكاء والنحيب على مقتل الإمام الحسين رغم استسلامنا لذلك الموقف المذهل وذرفنا للدموع، إنما هو إحياء لمعانٍ ومواقفَ ودلالات تلك الحادثة التي حفرت في تاريخ الإنسانية أثراً لم تُزِلْهُ كل متغيرات الحياة، إحياء من شأنه أن ينقلنا إلى الأجواء الروحية النقية الخالصة للحسين وأهل بيته.

إن حالات الرفض التي استحضرها الشعراء ليواجهوا بها حيرة هذا الزمان واشتداد الطغيان فيه هي إشراقات الوعي والشهادة في سبيل الحرية. وإذا كانت هذه

الرموز غائبة عن الرسمي من الكتب فإنها حاضرة في صدور الناس ووجدانهم تمثل احتجاجهم على فشل الواقع.

وأبرز من فتن الشعراء من شخصيات الرفض شخصية الحسين، وتكاد تكون أكثر شخصيات الموروث التاريخي شيوعاً في عصرنا المعاصر. فقد رأى الشعراء في الإمام الحسين المثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أن معركته مع قوى الباطل ستؤدي إلى شهادته وشهادة أصحابه، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها، موقناً أن هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والخلود، وأن في استشهاده انتصاراً له ولقضيته (عباس، ١٩٧٨م: ١٦١)؛ يقول يحيى السماوي:

أخفتَ الموتَ حتى خرَّ ذُعراً

فأنتَ الحيُّ والموتُ الدَّفينُ

جهادُكَ آخِرُ الآياتِ خُطّتْ

بنور العرشِ سُورَتُها "حُسَينُ" (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

فقد استدعى السماوي شخصية الإمام الحسين بهذه الدلالة ليعبر من خلالها عن أن الهزيمة التي تتلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها المادي أو المعنوي، إنما هو انتصار على المدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا.

تشكِّل شخصية "الحسين بن علي" "وواقعة كربلاء"، تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى فشلها، وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها "الحسين بن علي"، ولم يكن سبب هذا الفشل نقصاً أو قصوراً في دعوة صاحبها أو

مبادئه، وإنما سببها أنها كانت أكثر مثالية ونبلاً من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢١).

لقد كان الإمام الحسين صاحب قضيتين: سياسية وأخلاقية ضد الفساد الذي استشرى في المجتمع الأموي، ولذلك تسابق الشعراء في تصوير هذه الشخصية باعتبارها صاحبة قضية إنسانية كبرى تتسم بالأخلاق النبيلة، وترفض الواقع، وتقف وحيدة في أرض المعركة بعد أن تقاعس أشياعها عن نصرتها والدفاع عن مبادئها النبيلة، وهي صورة تاريخية يمكن اعتبارها معادلاً دلالياً لسلبية الأمة وتخاذلها عن نصرة الحق والخير في العصر الحاضر، وبذلك سقط صاحب هذه الدعوة شهيداً من "شهداء الحب".

بهذا يصبح "الحسين بن علي" بطلاً تاريخياً، ويصبح موته مثالاً يحتذى به في التضحية والفداء من أجل القضية.

الشاعر يرى في الإمام الحسين المثل الأعلى والأروع في الثبات على الحق، حتى دفع حياته ثمناً له، واستشهد في سبيله، وهو إذ ذاك يناصر الإسلام، ويقتدي بهدي جده رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لقد سجل باستشهاده صفحة ناصعة في تاريخ الإسلام، جعلته من الأبطال الأوائل الذين نعتز بتاريخهم وسيرتهم ونقتدي بهم.

ويظل استشهاد الإمام الحسين في كربلاء يلهم الشعراء، متخذين من الحسين رمزاً للبذل والتضحية بالذات في سبيل الحق (المرزوقي، ٢٠٠٥م: ١٨٨ و١٨٩).

ولعل حادثة كربلاء بما تمثّل من رمزية للمأساة بكل معانيها، كانت من أكثر الصور والحوادث في كثير من دواوين الشعراء. ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن من الشعراء من يرى فى شخصية الإمام الحسين الممثّل الحقيقي لكل دعوة نبيلة، انطلقت وثارت على واقع ظالم، ولم يقدر لهذه الدعوات والثورات، أن تصل إلى

أهدافها، فكانت نتيجتها الفشل والهزيمة، لا لعيب أو قصور فى مبادئ أصحابها، و إنما لكون دعواتهم قمة فى النبل والمثالية، لا تتوافق والواقع الفاسد آنذاك (عشري، ١٩٩٧م: ١٢١).

وهؤلاء الشعراء ينتظرون ثورة تتسم بهذه المبادئ المثالية، ثورة حسينية حقيقية بعيدة عن التزييف والتزوير. ثورة من وجهة نظره يحال بين صاحبها وماء الحياة، ثورة يدفع فيها حياته ثمناً لدعوته. لذلك اهتموا بها وأكثروا من توظيف هذه الشخصية فى شعرهم. وأصبحت ثورة الحسين لديهم منتجعاً لأفئدة وأهواء كل من ثاروا على ظلم، أو ثاروا من أجل قضية شرعية أو إسلامية؛ يقول السماوي مخاطباً الإمام الحسين:

فأنتَ لكلِّ ذي عزمٍ حسامٌ

وأنت لكلِّ مذعورٍ حُصونُ (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

وكما يقول في رثاء كامل شياع:

والناهضين إلى الصباح

وناسجي ثوبِ المحبّةِ

من حرير الياسمينْ

باسم الحسين..

وباسم موسى..

وابن مريم..

باسم كلّ الطيبينْ (لماذا تأخرتِ دهراً: ٩)

إن السماوي يقدّم رمز الحسين بطلاً عظيماً وشجاعاً بدلالات القيم النفسية والحسية. فالحسين في شعر السماوي بطل التراجيديا وليس مجرد بطل التاريخ الحقيقي، وفي ظل هذه الظروف المأساوية التي يعاني منها العراق وعموم البلاء وقلّة المعين يخاطب الشاعر الإمام الحسين ويطلب منه أن يقوم بثورة جديدة:

أبا الأحرار هلّا قمْتَ فينا؟

فقد عمَّ البلاءُ .. ولا مُعينُ

فيا مَنْ "حاؤه" حَقٌّ وحِلمٌ

ويا مَنْ "سِينُهُ" مُنْجٍ سَفينُ

ويا مَنْ "ياؤهُ" يُسْرٌ ويَمٌّ

ويا مَنْ "نونُه" نورٌ مُبينُ (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

إذن حروف اسم الحسين من الحروف المقدّسة عند الشاعر التي تشعل الحب الحقيقي في النفوس المطمئنة للحق الإلهي، التي أصبحت لائحة يُحتذى بها في التضحية والفداء من أجل كرامة الإنسان وحفظ كلمة الحق.

ويأخذ رمز الحسين موقعاً عميقاً في بعض قصائد السماوي، فقد كتب الكثير من القصائد التي تتضمن الفكر الحسيني كقصيدة "**يا آل ياسر**" المنشورة في مجموعة "قلبي على وطني" وقصيدة "**نداء إلى أبي ذر الغفاري**" .. وثمة قصائد كثيرة تتضمن هذا المنحى كقوله في قصيدة "**عصفاً بهم**" من مجموعة "نقوش على جذع نخلة" مخاطباً الشعب العراقي:

حاشاك تنثرُ للغزاة ورودا

فلقد خُلِقتَ كما النخيل عنيدا

لا زال فيك من "الحسين" بقيّةٌ

تأبى تُبايعُ في الخنوع "يزيدا" (نقوش على جذع نخلة: ١٢)

وفي الأبيات الآتية يكرّر الشاعر المعنى نفسه والفكرة:

هل هذه بغداد؟ كنتُ عرفتها

تأبى مهادنةَ الدخيلِ العاقِ

تأبى مساومةً على شرف الهوى

فتذودُ دونَ شذاه بالأرماقِ

ورثت عن "المنصور" صهوةَ عزمه

وعن "الحسين" مكارمَ الأخلاقِ (المصدر السابق: ١٦٥)

فالشعب العراقي ما زال فيه بقيّة من فكر الإمام الحسين ومنهجه النضالي، وقد ورث منه مكارم الأخلاق.

يجيبُ الشاعرُ ردّاً على تعليقي في موقع المثقف حول قصيدته "**يا سيدي الحسين**" كما يلي: «أنني أرتعب رهبة حين أزمع الكتابة عن أهل البيت الأطهار فترتجف أضلاعي قبل أصابعي الممسكة بالقلم، فلا أصعب عليّ من رهبة الوقوف بين أيديهم المطهرة المباركة.

أبوح لك بأمر: لقد كتبت الكثير عن الحسين ومسلم بن عقيل والعباس وزينب في شبابي لكنها لا ترقى إلى مستوى الطموح فتركتها. فمثلاً: كتبت عدداً غير قليل من المنظومات الدينية/ السياسية التي يُطلق عليها في اللهجة الشعبية الجنوبية العراقية مصطلح "بستات". كتبتها لأحد مواكب العزاء في السماوة» (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف).

هذا لا يعني أن كتابته كانت طائفية، فالحسين لم يكن طائفياً بل كان مثالاً سماوياً/ أرضياً كونيّاً للتسامح، وكفى به رمزاً لهذا التسامح أنه بكى على أعدائه خوفاً عليهم من جهنم، أرأيت مقتولاً يبكي على مصير قاتله؟

فهو يكشف بتكراره لمأساة الإمام الحسين عن صدى انكساري معيّن؛ أو شعور نفسي ضاغط على ذاته كالقلق والوجع، والغضب، والشعور بالأسى والحزن والتوتر، كما في قوله:

"طفلٌ بلا ساقينْ

وطفلةٌ مشطورةٌ نصفينْ

وطاعِنٌ دونَ يدٍ

وامرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ

وكُوَّةٌ في قِبَّةٍ "الحسينْ"

جميعها: حصادُ طلقتينِ من دبابةٍ

مرَّت بـ "كربلاءْ"

تحيَّةً ليومِ "عاشوراءْ" (نقوش على جذع نخلة: ١٢٥).

يعلّق الناقد السوري الأستاذ عصام شرتح على هذا المقتبس كما يأتي: «يأتي تكرار الأصوات المجهورة؛ ممثلة بالنون والهمزة مكثفاً الصدى الانفعالي للذات الشاعرة؛ وباعثاً شعوريّاً على الإحساس بالأسى الشعوري، إزاء ما يحدث في العراق من جرائم واغتيالات؛ إذْ إنَّ تنوين الكسر وتنوين الرفع؛ جاء كاشفاً عن الحركة النفسية الدالة على الشعور بالحزن، والأسى المرير على الجرائم التي يقترفها المحتل في العراق دون رحمةٍ أو شفقة؛ وهذه الجرائم استرجاع لجريمة مقتل الحسين؛ هكذا؛ جاءت الأصوات فاعلة في تحفيز الرؤية وتعميق الشعور الانفعالي

الحزين إزاء كلّ المصائب والآلام العاصفة التي تمر على الشعب العراقي ابتداءً من جريمة اغتيال الحسين إلى الجرائم الكثيرة التي تحدث في العراق» (شرتح (آ)، ٢٠١١م: ٣٣٧).

كما نلاحظ أنّ الكثافة التكرارية فى استدعاء شخصية الإمام الحسين، لها أثر في نفس المتلقي، والتكرار هنا تكرار معنى، وليس تكرار لفظ، إذ إنه اكتسب مواقعه عند الناس من خلال ما قام به من بطولات، كان لها بالغ الأثر فى النفوس، والسماوي استطاع أن يوظّف هذه الشخصية من خلال هذه الكثافة التكرارية للمعنى خدمة لنصه بما ينسجم مع تطلعات المتلقي.

النتيجة:

اتّخذ يحيى السماوي من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه، والموتيف عنده صورة لافتة للنظر، تشكلت في دواوينه ضمن محاور متنوعة وقعت في الكلمة والعبارة والصورة والمعاني. وقد ظهرت في شعره بشكل واضح تجعل القارئ والمستمع يعيش الحدث الشعري المكرّر وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية؛ إذ كان يضفي على بعض هذه التكرارات مشاعره الخاصة فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية أيضاً.

وقد وجدنا السماوي في منجزه الشعري يركّز على بعض الموتيفات منها: استدعاء الشخصيات التراثية بما فيها شخصية الإمام الحسين فهذه الموتيفات تحمل في ثناياها دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري. فالإمام الحسين رمزٌ للحرية والشهادة والخصب والانبعاث، وهو بمثابة ملاذ آمن

للشاعر، يحاوره الشاعر ويخاطبه، راجياً أن يجد بريق الخلاص والطمأنينة، والشاعر يشعر بأنّه عاجز عن التفكير بالحقيقة وهو يطوف حول هذا المخلّص «الإمام الحسين» بحزن شديد، يلتمس منه الحياة والأمل إلى قلبه الميت والمكتئب؛ فهو الأمل الوحيد لبعث الحياة الجديدة والحرية إلى العالم. وشجاعته وكفاحه هما الدواء الذي سيضمد جروح المظلومين والأبرياء. كذلك الإمام الحسين رمز الانتصار للقدرة الحقيقية والخالدة لدم الشهداء والمناضلين.

المصادر والمراجع

- ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين (١٤١٠ هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.
- إسلامي، مجيد (١٣٨٦هـ ش): مفاهيم نقد فيلم، تهران، نشر ني.
- إسماعيل، عز الدين (١٩٧٢م): الشعر العربي المعاصر/ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، بيروت، دار الثقافة.
- تقوي، محمد، إلهام دهقان (١٣٨٨هـ ش): «موتيف چيست وچگونه شكل مي گيرد»، طهران، مجلة نقد أدبي، جامعة تربيت مدرس، العدد ٨، ص ٢٧ – ٧.
- حداد، علي (١٩٨٦م): أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١.
- السماوي، يحيى (١٩٩٧م): هذه خيمتي.. فأين الوطن؟ ط١، ملبورن، أستراليا، مطبوعات.
- (٢٠٠٥م): نقوش على جذع نخلة، أستراليا، منشورات مجلة كلمات –سيدني–

(٢٠١٠م): لماذا تأخرت دهراً، دمشق، دار الينابيع.

- الشامي، حسن (٢٠٠٧م): «مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي»، الرياض، مجلة الخطاب الثقافي– دراسات–، جامعة الملك سعود، العدد الثاني، ص٥٩–٦.
- شرتح، عصام (٢٠١١م): آفاق الشعرية/ دراسة فى شعر يحيى السماوي، سورية، دار الينابيع، ط١.
- طه، المتوكل (٢٠٠٤م): حدائق إبراهيم، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- عباس، إحسان (١٩٧٨م): اتجاهات الشعر العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١.

- عشري زايد، علي (١٩٩٧م): استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

- المرزوقي، عبدالله فرج (٢٠٠٥م): الشعر الحديث في قطر/ تطوره واتجاهاته الفنية، قطر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، ط١.

- مفتاح، محمد (١٩٨٦م): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناصّ)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢.

- ناصف، مصطفى (١٩٨١م): دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.

الإنترنت:

-السماوي، يحيى (٢٠١١م): "يا سيدي الحسين"، المثقف، العدد ١٩٥٦، الرابط التالي:

http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=57543:q--q---&catid=35:2009-05-21-01-46-04&Itemid=55 .

- فائزي، فاطمة (٢٠١١م): «التراث الدين ي .. مفهومه ووظيفته في الشعر العربي المعاصر»، موقع المثقف، العدد ١٧٦٦، على الرابط التالي:

http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=48998:2011-05-23-11-47-09&catid=34:2009-05-21-01-45-56&Itemid=53